سمو الإسلام وعالميته

عياد

لفضيلة الشيخ

مناع القطان

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

الاسلام دين الله الى البشرية كافة ، وله مثله السامية التي لايعرف لها نظير ، وتلك حقيقة لايجادل فيها الا مكابر .

ان سنة الله تجري في الكائنات كلها مجرى سويا ، بدأ الكائن الحي نواة صغيرة فلا يزال ينمو شيئا فشيئا ، ويشب ويترعرع حتى يصل الى غايته في الحياة ، ليؤدي وظيفته على صورة أتم ، وفق سنة الله .

والمجتمعات البشرية التي تتكون لبناتها من الانسان الذي أكرمه الله ، وميزه بخصائص الادراك والمسئولية ، تمثل في أدوار حياتها الكائن الحي ، والحياة الانسانية منذ فجر التاريخ ــ تمثل مجتمعا انسانيا واحدا ــ نشأ ثم نما وشب وازدهر حيث وصل الى ريعان فتونه نضجا ووعيا وتفكيرا وادراكا، وقد ارتبطت هذه الحياة بالنبوات (واذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون ، وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم ، قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السماوات والارض ، وأعلم ماتبدون ، وما كنتم تكتمون) .

وظلت الحياة البشرية تشق طريقها في التاريخ مقرونة في نموها بالنبوات المتتابعة (وأن من أمة الا خلا فيها نذير) ، (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) .. فرسل الله يتتابعون في كل قرن ، وفي كل عصر (ثم أرسلنا رسلنا تترى) ويحملون هذا الزاد الروحي الذي يقوم الحياة الانسانية ويردها الى فطرتها .

(انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ، وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصنا عليك ، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما ، رسلا مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) .

ان الله سبحانه وتعالى قد فطر الناس على توحيده .

(فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) .

وبين رسولنا صلى الله عليه وسلم أن هذه الفطرة قائمة في نفس كل انسان ، ولكن الله عز وجل ركز في طبيعة هذا الانسان كثيرا من الغرائز والميول التي جعلته موضع بلاء وفتنة ، وهو يتعرض تحت تأثير العوامل الاجتماعية المختلفة المتعددة الى الانزلاق وراء الاهواء والشهوات ، والانجراف عن جادة الحق .

(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)

وهذا هو العهد الذي أخذه الله على بني أدم (واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) .

وقد اقتضت سنة الله تعالى واقتضت حكمته ألا يترك هذا الانسان تحت تأثير نزعاته وأهوائه وهو في هذا ممتحن ومبتلي فاكرمه برسله الذين يرسلون يحملون هدى السماء الى الارض ، ليردوا البشرية الى فطرتها ، وليقوموا معوجها ، وليهدوها سبيل الرشاد ، وليكون ذلك أعذارا لهذه البشرية أمام الله يوم أن يحاسبها على ما عملت .

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

وحيث كانت حياة البشرية في عصورها الاولى حياة محدودة المطالب كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة ، ويحمل اليهم من هدى السماء مايرشدهم الى صراط الله المستقيم وما يساعدهم على تقويم حياتهم الدنيا وفق هدى

الله ، وظلت البشرية في تطورها مع رسل الله المتتابعين اليها حتى كان التهيد الكامل لما وصلت اليه البشرية من نضج وما حققته من جوانب الحضارة ، وما تيسر لها من أسباب الاتصال شرقا وغربا ، وصلت الى ماوصلت اليه فأذن الله سبحانه وتعالى بِفجر رسالة جديدة عالمية ختم بها الرسالاتالسماوية آذنها الحق تبَارك وتعالى بأنها رسالة البشرية كافة فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم ٠

وبهذا اكتمل صرح الحضارة الانسانية في صورتها الاكمل والاتم ، يقول صلى الله عليه وسلم في هذا : (ان مثلي وَمثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)

فالوحي المتتابع الذي نزل على رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم بمثل نهرا تكونت له روافد ، وتفرعت منه جداول يروى مايذبل من أيك العقيدة ، ويمد الحياة الانسانية بالنماء على هدى الله سبحانه ٠٠ ينبع هذا النهر حيث يوحي الله الى ملائكته سفرائه الى رسله أو يكلم رسله سفراءه الى خلقه ، وقد انتهى مصب هذا الماء المغدق برسالة تبينا محمد صلى الله عليه وسلم ٠

والقرآن يذكر وحدة هذا التشريع من منبعه الى مصبه (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا ٱلدين ولا تتفر قوافيه)

والقرآن الكريم يحكي رسالات الانبياء السابقين بعنوان القومية الخاصة ٠

(لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره)

(والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) ، (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) ، (ولوطا اذ قال لقومه) (والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) ، (ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملأه) ٠٠ ويقول الله تعالى في عيسى (ورسولا الى بني اسرائيل) ٠

أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يعلن عالمية رسالته وأستاذيته للدنيا وختمه للمرسلين (قل يأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) ، (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) الى غير ذلك من الآيات ٠

(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ٠

وقد دلت نصوص القرآن الكريم ، ونصوص السنة على عالمية الاسلام بأساليب متعددة دلت نصوص القرآن الكريم على عالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فمنها ما جاء بصيغة الاخبار دالا على عموم الرسالة كقوله تعالى : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) ٠٠ وقوله تعالى : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) ٠

ومنها ما جاء بصيغة الاخبار كذلك دالا على أن القرآن ذكر للعالمين ، كقوله تعالى في غير موضع (ان هو الا ذكر للعالمين) ٠

ومنها ما جاء بصيغة الاخبار دالا على أن الرسولن صلى الله عليه وسلم بعث لينذر الناس أو أن القرآن الكريم جاء نذيرا للناس (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) ٠

ومنها ما جاء بصيغة الطلب والنداء لا بصيغة الاخبار كقوله تعالى فيما أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم (قل يأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) وهذا كثير في القرآن الكريم ٠٠ (يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم) ٠

فهذه نصوص قرآنية صريحة متعددة تدل على عالمية الاسلام منها ماجاء بصيغة الاخبار في أساليب مختلفة ، ومنها ما جاء بصيغة النداء والطلب ٠

واذا تجاوزنا نصوص القرآن الى نصوص السنة ، نجد نصوص السنة تؤازر نصوص القرآن ، وتدل على عالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ففي الحديث الذي يبين الخصائص التي أعطيها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعطها أحد قبله جاء :

(كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة) ويقول صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده لايبلغ هذا الدين رجلا من أمتي يهوديا أو نصرانيا ثم لايؤمن بي الا دخل النار) .

والمراد بالامة هنا .. أمة الدعوة ، لا أمة الاجابة ، والنص على اليهودي والنصراني منّ باب التنبيه بالاعلى على الادنى ، فانه اذا كان هذا شأن اليهودي والنصراني فغير اليهودي والنصراني من المجوس والوثنيين أولى ، ولو لم يكن هؤلاء مطالبين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ماتوعدهم الرسول عليه الصلاة والسلام بدخول النار .

وأتى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب من بعض كتب التوراة فقرأه عليه ـ أي على الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فغضب رسول اللهٰ وقال : (والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيا ماوسعه الا أن يتبعني)

فهذه نصوص من السنة وهي تدل دلالة صريحة على عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدخل في عموم هذه النصوص أهل الكتاب وغيرهم ، لأنهم من الناس فهم يدخلون في عموم هذه النصوص .

وهناك نصوص أخرى جاءت بشأن أهل الكتاب تدل على وجوب دخولهم في الاسلام وايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم .

(قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) .. ويقول تعالى : (ياأهل الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) وفي الآية الاخرى (يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) .

بل ان الله سبحانه وتعالى أخذ على الانبياء والمرسلين الميثاق أن يأمروا أتباعهم بأن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا بعث فيهم وأن ينصروه ، وأقروا على أنفسهم بذلك وشهد بعضهم على بعض ، وأكد الله هذه الشهادة وذلك الاقرار بشهادته كذلك يقول تعالى : (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرونه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم أصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا

وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ، أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون) .

فلو لم يكن ايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا لما كان توليهم فسقا ، والفسق هنا .. بمعنى الخروج عن الدين أي الكفر (فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون) وأنكر الله تعالى عليهم هذا بعد بصيغة الاستفهام الانكاري الدال على أنه لادين بعد بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، سوى دين الاسلام (أفغير الله يبغون ولم أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون) .

وجاءت البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية ، وذكر القرآن هذا بالنسبة الى عيسى (واذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .

كما أن أهل الكتاب قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا يتحدثون مع الكفار ويقولون لهم لقد أظلنا في هذا الزمان عهد نبي يبعث سوف نسبقكم الى الايمان به ونكون معه عونا عليكم ، ولكن ما كاد يبعث صلى الله عليه وسلم حتى تنكروا له استعلاء واستكبارا .

(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين) .

وهناك أدلة أخرى تدل بطريقة الاستنباط العقلي من النصوص الشرعية على وجوب ايمان أهل الكتاب بمحمد صلى الله عليه وسلم .

لقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبه ورسله الى كسرى وقيصر والى المقوقس ودعاهم الى الايمان ، فلو لم تكن هذه الدعوة واجبة لما فعله ، وكذا دعا على من مزق كتابه لكسرى أن يمزق الله ملكه شر ممزق ، ولو لم يكن ايمان أهل الكتاب بالاسلام واجبا لما كان اعراضهم عنه كفرا .. وقد قال الله تعالى : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) ، (ان الذين كفروا من أهل الكتاب) ، (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر) .. ولو لم يكن ايمانهم بمحمد صلى الله عيله وسلم واجبا لما جاء الامر بقتالهم حتى يؤمنوا أو يدفعوا الجزية .

(قاتلوا الذين لايؤمنونّ بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ·

واذا كان هذا شأن أهل الكتاب ، فان شأن غيرهم أولى حتى يدخل الناس جميعا على اختلاف مذاهبهم ومعتقداتهم ، وعلى اختلاف أوطانهم وديارهم في دين الاسلام · (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله)

قد يعرض في هذا شبهة يحتج بها المبطلون ، وتلك سنة الله في الصراع بين الحق والباطل والهدى والضلال ، والخير والشر ، ومن ذلك مازعمه فريق من أهل الكتاب أو من غيرهم من أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليست الى الناس كافة ·

ويستدلون على ذلك : بأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، فيكون للعرب ويستشهدون بمثل قوله تعالى : (انا أنزلناه قرآنا عربيا) ، وقوله تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) · ويستدلون أيضا بالأيات التي دلت في ظاهرها على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنذر قومه كقوله تعالى : (لتنذر قوما ماأنذر آباؤهم) ، وقوله تعالى : (لتنذر قوما ماأتاهم من نذير) ·· وبنوا على مثل هذه النصوص ادعاءهم بأن محمد صلى الله عليه وسلم مابعث الا للعرب شأنه في هذا شأن الانبياء السابقين الذين بعثوا الى قومهم خاصة (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) ، وقوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) ·

والجواب عن هذا أن تقولوا لهم :

أما أن تؤمنوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول ·· الا أن رسالته الى العرب خاصة ، واما أن تكذبوا وتنكروا ·· فان اختاروا الثانية أي التكذيب والانكار قلنا لهم أن تكذيبكم وانكاركم لمحمد صلى الله عليه وسلم يترتب عليه تكذيب الانبياء جميعا وانكارهم بما فيهم رسلكم ·· لأن طريق اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو طريق اثبات نبوة الانبياء ، وهو المعجزة ، بل ان معجزته عليه الصلاة والسلام أوفى وأتم لأن الله سبحانه وتعالى أيده بالمعجزات الحسية على نحو ما كان فيه تأييد الانبياء السابقين ثم

أيده بالمعجزة الكبرى ، وهي معجزة القرآن الكريم لبلاغته وفصاحته ومعارفه وما تضمنه من نظريات الحياة العامة اجمالا أو تفصيلا ·

واذا بطل هذا المسلك الثاني يعني التكذيب والانكار ، لم يبق لهم الا المسلك الاول وهو أن يعترفوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول ·· الا أنه للعرب خاصة ·

فنقول لهم ·· اما أن تقولوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يقل أنه أرسل الى الناس عامة ، واما أن تقولوا أنه قال ذلك كذبا وزورا ·· وكلاهما باطل ·· أما الاول : فبطلانه ·· لأن النصوص التي أوردناها تدل دلالة صريحة على أن رسالته الى الناس كافة ، وهو معلوم من الدين بالضرورة لأن بطلان الاول ثابت بالنصوص ·· وأما بطلان الثاني : وهو أنه قد قال ذلك كذبا فبأطل أيضا ·· لأنه اذا ثبتت رسالته فقد ثبتت عصمته ، ولا يجوز عليه الكذب ·· وبهذا نرد عليهم مادعوه من أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليست رسالته عامة ·

فقد نزل القرآن عربيا بلسان عربي فبعث الى قومه ولم يبعث الى غيرهم ·· ثم ان النصوص التي استدلوا بها مردودة عليهم ، وقد فهموها على غير فهمها الصحيح فنزول القرآن باللسان العربي ·· لأن الرسول الذي نزل عليه القرآن عربي ·· وقد جرت سنة الله أن ينزل الكتاب على الرسول بلغته واللغة العربية أوضح بيانا ، ولها أساليبها المتعددة التي لاتصل اليها لغة أخرى فكان الشأن أن ينزل القرآن عربيا لأنه نزل على رسول عربي ·

أما ما جاء من النصوص التي دلت على أنه أنذر قومه ، وذلك لأن كل رسول ينذر قومه ابتداء وهم أقرب اليه في الدعوة ، ثم يكون البلاغ بعد ذلك كما أن نزول القرآن بالعربية ·· لأن أقرب الناس للدعوة اليه هم العرب ، ثم يكون ترجمة ألسنة الناس الى العربية ، أو ترجمة هذا الذي يقال الى لغة الناس ·· فكذلك أيضا يدعو الرسول عليه الصلاة والسلام قومه أولا لأنهم أقرب اليه ، واليهم تتوجه الدعوة ثم تكون الدعوة الى الناس كافة ·

ومن المعروف في القواعد الاصولية أن تخصيص بعض أفراد العام بالذكر اذا كان له سبب لاتدل على عدم دخول ماسوى المذكور ·· فالله سبحانه وتعالى قال في أول مأتنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (وأنذر عشيرتك الاقربين) فتخصيص العشيرة القريبة لايدل على عدم دعوة ماسوى العشيرة، ولا يمنع من انذار ما سوى العشيرة ·

يقول تعالى : (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) ·· فالاقتصار على ذكر الزينة والركوب في الخيل والبغال لاتعني عدم دخول منافعها الاخرى كحمل الاثقال أو الانتفاع بها في وجوه الانتفاع الذي ينتفع بها غير ذلك ·

ولو نزل القرآن على محمد العربي صلى الله عليه وسلم بغير لغة العرب لجاز تعجبهم كما حكى القرآن الكريم (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) ·· وبهذا لايتبقى لهم شبهه ·

وللاسلام مثله السامية التي لايعرف لها نظير ، ولن نستطيع أن نتحدث طويلا عن سمو الاسلام ، ولكننا نذكر عدة أمثلة ·· ومن أمثلة ذلك :

سمو الاسلام في بناء مجتمعه حيث كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة الى الناس كافة ·· فان هذه الرسالة أرجعت البشرية الى أصل نشأتها الاولى من أب واحد ، وأم واحدة (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ·

فلا يميز الاسلام بين جنس وجنس ، أو لون ولون أو لغة ولغة ، أو وطن ووطن وقد عرفنا في تاريخ البشرية ألوانا متعددة من العنصريات ، وما عرفت فيّ حضارة من الحضارات أنها سوت بين أبناءها جميعا ·· فهناك طبقة الاشراف ، وهناك طبقة الخدم أو طبقة العبيد أو الفلاحين ·

وفي العصر الحديث الذي تتزعمه دول حضارية متقدمة ·· نجد هذا التمييز العنصري في أمريكا ·· وهي على رأس تلك الدول بين البيض والسود ونجده في صور أخرى بين أجناس من الناس وطبقات من البشر ·

أما نظرة الاسلام فهي تترفع عن هذه الفوارق العارضة لترد البشريةالى نشأتها الاولى ·· فان هذه الفوارق لم تخلق مع الانسان الاول ، انما تعرض له لعوامل طبيعية أو لعوامل اجتماعية ·

وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى الابيض والاسود والعجمي والعربي فاذا كان هناك سبب للتفاضل ·· فان هذا التفاضل لايرجع الىمعنى عنصري انما يرجع الى المواهب والقدرات بقدر ما يكون لدى كل انسان ،

وبقدر مايتدرج في مدارج التقوى والصلاح .. ولذا جاء في الآية الكريمة (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .. وتاريخ الاسلام يعطي أروع الامثلة في هذا المجتمع الاسلامي الاول .. فمجلس الرسول صلى الله عليه وسلم كان يضم بلالا الحبشي وصهيبا الرومي ، وسليمان الفارسي ، وأبا بكر القرشي ، وكلهم في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم سواء .

واعتبر الاسلام الدعوة الى العنصرية من دعاوى الجاهلية .. فقال صلى الله عليه وسلم (ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من مات على عصبية وليس منا من قاتل على عصبية) وقال فيها تلك الكلمة المنفرة (دعوها فانها منتنة) .. وعندما قال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ لرجل ياابن السوداء قال عليه الصلاة والسلام (أعيرته بأمه انك امرؤ فيك جاهلية) .

ومن هذه الامثلة كذلك .. سمو الاسلام في تحقيق العدل بين الناس ان الناس ليتطلعون منذ أقدم العصور الى حكم عادل يرد الامور الى نصابها ، ويعطي كل ذي حق حقه ولطالما تطلعت البشرية الى هذا وسعت اليه عبر القرون والاجيال .. واذا كان العدل يعني أن يأخذ كل انسان حقه فان الاسلام يجعل العدل فريضة من الفرائض (أن الله يأمر بالعدل والاحسان) ويأمر هذا الدين بالعدل في جوانب الحياة المختلفة ولكن العدل في الاسلام يسمو فوق هذا ليقضي على الدواعي النفسية ، والمشاعر التي تؤثر على هذا العدل سواء في حب الانسان لنفسه أو في حبه للآخرين أو فيما تفرضه الاوضاع الاجتماعية من ميل الى الاغنياء تقربا لهم أو بعد عن الفقراء احتقارا لهم أو من كراهية للاغنياء بغضا لهم ، وميل الى الفقراء رأفة بهم يقول تعالى : (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو ألوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) .

ثم ينهى القرآن الكريم عن اتباع الهوى أيا كان نوعه مخافة أن يميل أحد معه من القاضي أو الشاهد .

(فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) .

وتأتي الآية الاخرى لتبين سمو الاسلام في عدله ، وأنه عدل مطلق يسوى بين أبنائه وبين المبغوضين من أعدائه .. فلا تأثير للعداوة ولو كانت في الدين على هذا العدل في التحاكم ، (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله

شهداء بالقسط ولايجر منكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) ·

ويقول صلى الله عليه وسلم في شأن أهل الكتاب مايدل على مدى العدالة بينهم ، وأن من خاصمهم بغير حق فان الله سبحانه وتعالى يكون خصمه يوم القيامة فهل تصل الانسانية اليوم في عصر العلم والحضارة الى مثل هذا السمو الذي قرره الاسلام ·

ومن أمثلة ذلك مايتصل بالرحمة :

فالرحمة هي الرابطة التي تربط بين الناس وفي ظلها يحيى الناس حياة سعيدة في حب وود ، يرحم القوي الضعيف ، والغني الفقير ، والثري المحتاج ، وينال كل ذي حاجة حاجته بباعث الرحمة والمساواة ، ونحن اذ نقرأ ما جاء في القرآن عن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم نجد : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) ونجد نصوص الرحمة الكثيرة (الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) ·· ونقرأ عشرات المرات في صلاتنا وفي غير صلاتنا (بسم الله الرحمن الرحيم) ·

ولا تقف الرحمة في الاسلام عند رحمة الانسان لأخيه الانسان ، انما تتعداه الى الرحمة بالحيوان وفيما ورد من نصوص توجب على الانسان الشفقة بالحيوان الذي يقتنيه والرحمة به في حمله للأثقال أو في أدائه لأي عمل من الاعمال ·

وجاء في الحديث ·· بينما رجل يمشي اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل وشرب ثم خرج فوجد كلبا يلهث يأكل الثرى من العطش فقال ·· لقد بلغ هذا من العطش مثل ما بلغ بي فخلع نعله فنزل البئر فملأها ماء ثم أمسك بها ثم خرج فسقى الكلب فغفر الله له ·· قالوا يارسول الله وان لنا في البهائم لأجرا ·· قال (في كل ذات كبد رطبة أجر) ·

خرج فسقى الكلب فغفر الله له ·· قالوا يارسول الله وان لنا في البهائم لأجرا ·· قال (في كل ذات كبد رطبة أجر)

ويقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر (دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الارض) ·

فأين الرحمة في الحضارة المعاصرة ؟ وأين هي مما جاء في الاسلام من

هذا السمو ·· ومن هذا ما جاء في أخلاق الاسلام الحربية ·· ان الناس يعرفون أن الحرب تسعر نار العداوة والبغضاء ، فلا تعرف شفقة ، ولا تعرف رحمة ·· وقد وصلت الحضارة الحديثة الى ماوصلت اليه من أساليب الحرب وهي أساليب توشك أن تأتي على العمران البشري من القواعد لما فيها من تدمير وخراب ·

فاذا نظرنا الى سمو الاسلام في الحرب ، وجدنا أن المسلمين لايجنحون الى الحرب ، انما يجنحون الى السلم ، ويقرر العلماء والمحققون أن الاصل في الاسلام السلم لا الحرب (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) ·

ولا يعلن المسلمون الحرب على قوم معاهدين بغتة أو فجأة ليباغتوهم بالقتال حتى يعلنوهم بنقض العهد وحتى ينبذوا لهم هذا العهد مثل مانبذوه وحتى يكون علمهم سواء مع علم المسلمين أنفسهم باعلان الحرب والقتال وهذا ما جاء في قوله تعالى : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين) ·

وعندما تحتدم المعركة ويشتد القتال نجد وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصايا صحابته تدل على سمو هذا الدين في معاملة أعدائه (اغزوا باسم الله) ·· (قاتلوا من كفر بالله) « لاتغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا وليدا ولا رجلا في صومعته ، ولا تحرقوا شجرا ولا تتلفوا زرعا » الى غير ذلك في الوصايا المأثورة فيما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ·

وأين هذا السمو مما عليه العالم المتحضر اليوم من دمار وخراب ·

أيها الاخوان ·· الاسلام دين الله الى البشرية كافة ، وله مثله السامية التي لايعرف لها نظير ، وتلك هي النصوص الدالة على عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ·· وما تبع ذلك من رد على شبه المبطلين ·

وهذه نماذج من مثل الاسلام في بعض جوانبه ·· فعوا هذه الحقيقة ، وأيقنوا بسمو الرسالة المحمدية التي تنتمون اليها ، واعملوا في سبيلها ، وجاهدوا من أجلها ·

والله معكم ولن يتركم أعمالكم ·

مناع القطان